

جامعة الأزهر

المؤتمر العلمي الدولي الخامس

لكلية اللغة العربية بأسيوط

وعي التلقي العربي المعاصر بالأصول الفكرية المنتجة لمصادر فقه اللغة التراثية في الطور التأسيسي : دراسة نقدية

إعداد

أ.د/ خالد فهمي

كلية الآداب/ جامعة المنوفية

(المجلد الأول)

١٤٤٣هـ /٢٠٢١م

وعي التلقي العربي المعاصر بالأصول الفكرية المنتجة لمصادر فقه اللغة التراثية في الطور التأسيسي : دراسة نقدية

أ.د/ خالد فهمي

كلية الآداب/ جامعة المنوفية

البريد الإلكتروني : magdkhalidyahoo .com

ملخص البحث:

تسعى هذه المقالة إلى فحص تجليات الوعي العربي المعاصر بالأصول الفكرية(الفلسفية) التي كانت وراء إنتاج أدبيات فقه اللغة في التراث العربي، ولاسيما في طور التأسيس من منظور نقدي.

وطموحا إلى تحقيق هذه الغاية تعالج المقالة المطالب التالية:

أولا: جدل إحياء مصطلح (فقه اللغة) في البيئات العلمية العربية المعاصرة.

ثانيا: الاستراتيجيات المعاصرة في تجاوز آثار الوافد الغربي في الحقل اللساني.

ثالثا: معايير تعيين الخلفيات الفكرية/ الفلسفية المنتجة لمصادر فقه اللغة التراثية لدى اللسانيين العرب المعاصرين.

والحقيقة أن ثمة نوعا من التسرع المفضي إلى الاضطراب كان واضحا جدا في تعيين الخلفيات الفكرية/ الفلسفية التي أنتجت تراث فقه اللغة في تاريخ الحضارة العربية.

الكلمات المفتاحية:

فقه اللغة/ التراث اللغوي العربي/ اللسانيات التراثية/ الأصول الفكرية للسانيات العربية/ التلقي العربي المعاصر لفقه اللغة التراثي.

Awareness of contemporary Arab reception produced intellectual assets Sources of traditional philology In the founding phase: a critical study

Prof. Dr. Khaled Fahmy
Faculty of Arts/ Menoufia University
E-mail : magdkhalidyahoo .com

Research Summary:

This article seeks to examine the manifestations of contemporary Arab awareness of the intellectual (philosophical) origins that were behind the production of philological literature in the Arab heritage, especially in its infancy, from a critical perspective.

In order to achieve this goal, the article addresses the following demands:

First: Controversial revival of the term (linguistic jurisprudence) in contemporary Arab scientific environments.

Second: Contemporary strategies to overcome the effects of the Western arrival in the linguistic field.

Third: Criteria for determining the intellectual/philosophical backgrounds that produce the sources of traditional philology for contemporary Arab linguists.

In fact, there is a kind of haste leading to turmoil that was very clear in identifying the intellectual/philosophical backgrounds that produced the legacy of philology in the history of Arab civilization.

key words:
Philology/Arabic linguistic heritage/traditional linguistics/intellectual origins of Arabic linguistics/contemporary Arab reception of traditional philology.

٠/ **مدخل** : الوعي المعاصر بالأصول الفكرية(الفلسفية) المنتجة للسانيات : منارات هادية!

(١/٠)

على نمط من القلة بالمنظور الكمي تظهر علامات واضحة تقرر أن ثمة نوعا من الوعي المعاصر بالأصول الفكرية، ولاسيما الدينية يتكشف في عدد من (الاعترافات) الصادرة عن لسانيين معاصرين في التقاليد الغربية والتقاليد العربية على السواء.

وقد دمغ د. مقبل الدعدي في [الاستقبال العربي لعلم اللغة، د. مقبل بن علي الدعدي، مركز تكوين للدراسات والأبحاث ، الخبر، السعودية ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م] مجمل التلقي العربي لعلم اللغة الوافد من التقاليد الغربية، وكشف عن نوع من التحيز أو الانبهار المتجاوز حدود القبول النقدي.

وما يهمني هنا هو تنبه الدكتور الدعدي إلى ظهور نمط من الخلفيات الفكرية والسياسية حكمت مسيرة نشأة اللسانيات الغربية المعاصرة وتطورها.

وإن كان تنبه الدكتور الدعدي إلى الخلفيات الفكرية أو الفلسفية جاء باهتا وضمنيا فإن ثمة تنبها مستعلنا قد ظهر بصورة صريحة لا تحتمل التأويل في السياقين الغربي والعربي على السواء، وأسبق من الشعور الذي يحسه القارئ من كلام الدكتور الدعدي بزمان طويل في نعيه على اللسانين المعاصرين غياب "التلقي الواعي" للسانيات الغربية الوافدة (ص ١٨٣)

(٢/٠)

وهو ما ندلل عليه من حزمة النقول التالية الموزعة على السياقين الغربي والعربي:

يقول جيفري سامبسون في كتابه[مدارس اللسانيات .. التسابق والتطور، ترجمة: د. محمد زياد كبة ، جامعة الملك سعود للنشر،٢٠١٧م]

و[المدارس اللغوية ، التطور والصراع ، جيفري سامبسون ، ترجمة: د. أحمد الكراعين، المؤسسة الجامعية، بيروت ، ١٩٩٣م]

يقول جيفري سامبسون (ترجمة د. الكراعين، ص٨٣):

"ما يهم أنهم(الوصفيون وفي مقدمتهم كينيث بايك) يؤكدون على المنهج الوصفي... وعملهم التحليلي له غرض ملموس(هو):المساعدة على تحويل الوثني إلى مؤمن، وذلك بتمكينه من الكتاب المقدس وتوصيله لكل إنسان بلغته الأم"

ويقرر سامبسون في [مدارس اللسانيات .. التسابق والتطور، جيفري سامبسون، ترجمة د. محمد زياد كبة، دار نشر جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٧هـ] (ص/٧٦)

" أن المهم في الأمر أنهم(أي كينيث بايك وجماعته) يعتنقون المنهج الوصفي في اخضاع النظرية إلى مهمة تحليل اللغات غير المألوفة، كما أن لأعمالهم التحليلية هدفا عمليا ملموسا ألا وهو دعم النشاط التبشيري عن طريق إيصال ما يسمى بالكتب المقدسة إلى كل إنسان بلغته الخاصة"

ويذهب جورج مونان إلى توسيع دائرة هذا الاعتراف عندما: " يخبرنا ... أن قضايا اللغة كانت تاريخيا ملامسة لقضايا المعتقد في الحضارات كلها التي عُرفت بكتاب سماوي. والواقع أن هذه الملابسة لم تكن تتخذ طابعا برانيا واضحا، بل كانت تخفي نفسها، وتتدثر لأسباب كثيرة خلف المعمار المعرفي الذي يتخذ منها خلفيته ومقدمته المسكوت عنها" على ما يقرره الدكتور إدريس مقبول في [سيبويه معتزليا: حفريات في ميتافزيقا النحو العربي، د. إدريس مقبول ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة، بيروت، ط (١) سنة ٢٠١٥م](ص١٣)

وليس هذان الصوتان يتيمين في التقاليد الغربية، بل يوشك أن يكون الاعتراف بحضور الوعي بالأصول الفكرية والدينية وتوجيهها دفة سفينة اللسانيات المعاصرة- عاما فاشيا، وإن تنوعت صور التعبير عنه.

يقول موريس أولندر في [لغات الفردوس... آريون وساميون: ثنائية العناية الإلهية، موريس أولندر، ترجمة: د. جورج سليمان، مراجعة سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٧م] (ص١٧٨): " إن تاريخ الدين هو - بمعنى ما- تاريخ اللغة"، ويفسر هذا قائلا : إن " الصلة الأولية بين الألوهة واللغة هي التي أفسحت المجال أمام أبحاث علم اللغة الجديد"

ويتوسع لويس جان كالفي في [حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، ترجمة: د. حسن حمزة ، ومراجعة: د. سلام بزي- حمزة، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت٢٠٠٨م] (ص٢٨٤) عندما يقرر أن دراسة اللغة تُعنى في جزء كبير من توجهاتها بخدمة الكتب المقدسة.

ولم يغب الوعي بهذا الأمر عن التقاليد العربية المعاصرة في حقل اللسانيات، وإن لم يكن بالكثافة والوضوح الذي ظهر في أدبيات التقاليد الغربية المعاصرة في اللسانيات.

وقد سبق في هذا المدخل الإشارة التي وردت من كتاب الدكتور مقبل بن علي الدعدي [الاستقبال العربي لعلم اللغة: دراسة نقدية لحركة رواد علم اللغة العرب ، (ص٧ وما بعدها)]

ومن الأصوات المهمة في التقاليد العربية المعاصرة في اللسانيات التي أشارت إلى نمط من الوعي بالخلفيات الفكرية والفلسفية التي أنتجت المدارس اللسانية المعاصرة الدكتور محمد محمود غالي (ت٢٠١٦م) في كتابه [أئمة النحاة في التاريخ ، د. محمد محمود غالي، دار الشروق، جدة ، المملكة العربية السعودية، ط(١) سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م]

لقد توقف الدكتور محمد محمود غالي- مرتين على الأقل – إلى ما يكشف عن هذا الوعي بصورة واضحة، فقد قرر أن تشومسكي يتهم بلومفيلد ومدرسته بالمادية(ص١٤) : ولا يتردد " في وصمهم بالإلحاد"

ثم عاد (ص٢٥) فقرر قائلا: "وينبع فكر سوسير من مصدر آخر غير مصدر الاجتماع (يقصد تأثره بإميل دوركايم في نقل الحقيقة الاجتماعية إلى تفسير الظاهرة اللسانية؛ وهذا المصدر هو عقيدته المسيحية التي استقى منها مبدأ الثنائية الذي يسود كل كتاباته وتعريفاته".

ثم يعود فيقرر قائلا(ص٢٥): " ولقد أشار في كتابه : دراسات في اللسانيات العامة... إلى الثنائية التي يعتنقها مستمدة من ثنائية الجسد والروح في العقيدة الدينية".

وقد وصل الأمر إلى ظهور منجز لساني ينطلق أصحابه من التصورات الإلحادية في فحص عدد من قضايا اللسانيات؛ ففي معالجة فيليب ليبرمان لقضية نشأة اللغة الإنسانية انطلق من التصور الإلحادي في مقالته [صوت في الخلاء : كيف اكتسب الإنسان القدرة على الكلام، فيليب ليبرمان، د. حمزة بن قبلان المزيني ، مجلة العصور: مج ٦، ع٢ ،١٩٩٤م (ص ص ٣٩٢-٤٠٢)] وقد قرر ذلك المترجم فقال : " وفي هذه المقالة يناقش اللساني الأميركي فيليب ليبرمان هذا القضية مستدلا في تدعيم آرائه بما انتهى إليه البحث في اللسانيات وعلم الآثار وعلم الأحياء ولا يفوتني هنا أن أشير إلى بعض الآراء التي تتصف بشيء من الإلحاد".

وأعتقد أن في ذلك الذي أوردته في هذا المدخل كفاية بصورة ما تدل على حضور الوعي المعاصر في مجال اللسانيات أن المدارس اللسانية قديما وحديثا ظهرت بتأثير مباشر للأفكار والفلسفات.

١/ مصطلح " فقه اللغة" في التقاليد العربية المعاصرة: جدل الإحياء وعلاقته بالخلفيات الفكرية:

يمثل تحليل الموقف من التسميات التي أطلقت على حقل" دراسة اللغة" في المجال العربي على امتداد العصر الحديث مدخلا جيدا لقياس نتائج اعتماد الخلفيات الفكرية/ والأيديولوجية من جانب اللسانيين العرب المحدثين، ذلك أن ثمة فروقا ملحوظة بين أجيال اللسانيين العرب المحدثين والمعاصرين في مدى الاقتراب والابتعاد من المنجز التراثي وفلسفته الحاكمة من جانب ، والوافد الغربي وفلسفته الحاكمة من جانب آخر.

ويمكننا أن نلحظ الملحظين التاليين:

أولا : استقرار ظهور مصطلح "فقه اللغة" في جيل الرواد المعاصرين، والجيل التالي لهم الذين اشتغلوا بفحص الظاهرة اللسانية العربية بتأثير ظاهر ومعلن بما كان في التراث اللساني العربي، وبما كان من أمر التقاليد الاستشراقية المعاصرة معا.

وهو الأمر الذي يتجلى في عنوانات المؤلفات العربية المعاصرة:

١. ١٩٤٥م /مصر : فقه اللغة، للدكتور علي عبد الواحد وافي [دار نهضة مصر ، القاهرة]
٢. ١٩٦٠م /سوريا : فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك [دار الفكر ، بيروت]
٣. ١٩٦٠م/ لبنان : دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح [دار العلم للملايين، بيروت]

٤. ١٩٦٦م/ مصر : مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج [دار النهضة العربية، بيروت]

٥. ١٩٦٩م/ سوريا: الوجيز في فقه اللغة، لمحمد الأنطاكي [حلب، سوريا]

٦. ١٩٧٢م/ مصر: فقه اللغة في الكتب العربية ، للدكتور عبده الراجحي [دار النهضة العربية، بيروت]

٧. ١٩٧٣م / مصر: فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب [مكتبة الخانجي ، القاهرة]

٨. ١٩٨٢م/لبنان: فقه اللغة العربية وخصائصها، د.إميل بديع يعقوب، [دار العلم للملايين، بيروت]

٩. ١٩٨٢م /مصر : الأصول ..دراسة إبيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو. ***فقه اللغة*** **.البلاغة ، للدكتور تمام حسان [الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة]**

١٠. ١٩٨٦م/ العراق :فقه اللغة، للدكتور عبد الحسين المبارك،[جامعة البصرة، العراق]

١١. ٢٠٠١م/ العراق : المعجم المفصل في فقه اللغة، للدكتور مشتاق عباس معن [دار الكتب العلمية، بيروت]

١٢. ٢٠٠٥م/مصر : علم ***فقه اللغة العربية*** **..أصالته ومسائله، للدكتور محمد حسن حسن جبل [مكتبة الآداب، القاهرة]**

١٣. ٢٠٠٧م/ العراق: فقه اللغة ، للدكتور حاتم صالح الضامن[دار الآفاق العربية، القاهرة]

وفحص خطاب مقدمات هذه الأدبيات، وفصولها التمهيدية- بوصفها مسالك كاشفة عن الخلفيات الكامنة وراء الانحياز لهذه التسمية- كاشف عن نوع حضور لسطوة التأثر بالتراث اللساني العربي الذي كان ظهور مصطلح " فقه اللغة" فيه مبكرا جدا من جانب، ومن ابتداء ظهوره المعاصر في التقاليد الاستشراقية على أيدي الأساتذة الأجانب في الجامعة المصرية وقد تمثل هذا الحضور القائد إلى الانحياز فيما يلي:

أ- حضور الاعتراف بأسبقية ظهور تسمية مصطلح" فقه اللغة" في التراث اللساني العربي زمنيا، تلك الأسبقية المتعينة بالقرن الرابع الهجري، يقول د/محمد أحمد أبو الفرج [ص١٧] : "ولا شك أن اصطلاح " فقه اللغة سابق من الناحية الزمنية" سواء قديما أو حديثا.

ب- حضور الاعتراف بأسبقية ظهور تسمية مصطلح "فقه اللغة" كذلك في أعمال المستشرقين الذين عملوا في الجامعة المصرية[انظر: د. محمد احمد أبو الفرج ص١٢ وعنه د. رمضان عبد التواب ص ١٠ وعبده الراجحي ص٢٧]

ج- اللجوء إلى دعم ترجيح اختيار هذا المصطلح بما كان من منجز التراثيين الذين سبق منهم استعماله في عنوانات كتبهم من أمثال:

ابن فارس ٣٩٥هـ ، والثعالبي ٤٢٩هـ

ثانيا: استقرار استعمال مصطلح" فقه اللغة" بصورة أكثر استقرارا واستمرارا زمنيا في ميدان اللسانيات المقارنة، وهو ما يتضح من تحليل خطاب عنوانات الأدبيات التالية:

١. ١٩٦٨/ العراق : فقه اللغة المقارن، للدكتور إبراهيم السامرائي[بيروت]

٢. ١٩٩٩م/لبنان : فقه اللغة المقارن، للدكتور رمزي البعلبكي[بيروت]

3. ٢٠٠٠م/ الأردن: فقه لغات العربية المقارن، للدكتور خالد إسماعيل [إربد، الأردن]
4. ٢٠٠٢م/ العراق : المعجم المفصل في مصطلحات فقه اللغة المقارن ، للدكتور مشتاق عباس معن [دار الكتب العلمية، بيروت]

وهذه النقطة الأخير هي التي تحملنا على ترجيح التأثير الأقوي لمنجز اللسانيات في التقاليد الغربية في إحياء مصطلح "فقه اللغة" في المجال العربي المعاصر؛ نظرا لاستقرار سبق الظاهرة الاستشراقية إلى استعمال المصطلح في المجالين أقصد اللسانيات العامة واللسانيات المقارنة، فقد سبق جويدي إلى الاستعمال الأول، وسبق كارل بروكلمان في كتابه: (فقه اللغات السامية) إلى الاستعمال الأخير.

ويدعم تراجع التأثر بالفكرية العربية الإسلامية لصالح سطوة التأثر بالفكرية الغربية الوافدة – أمر المعالجات والانتصارات لآراء اللسانيين الغربين في مجمل الدرس العربي للظواهر اللسانية العربية؛ وهو الأمر الذي اجتهد الدكتور مقبل الدعدي في الكشف عنه في كتابه:[الاستقبال العربي لعلم اللغة] حيث قال: (ص ١٨٣):

لقد: " تبين وقوع أصحاب تلك الكتب [اللسانية العربية المعاصرة] في إشكالات منهجية عدة ظهرت بجلاء ... في أزمة العلمية، ومناهج دارسة اللغة، وفي تناولها لعلوم العربية، وفي التأريخ للدرس اللغوي فغاب التلقي الواعي".

ولعل هذه النقطة تبدو واضحة جدا في محاولة الدكتور عبده الراجحي ــ رحمه الله ــ في نفي انضواء مصنفات فقه اللغة التراثية عند العرب تحت مفهوم "فقه اللغة" الوافد من الغرب، يقول (ص٥٥):

إنه: "يتبين لنا أن الدرس(العربي) اللغوي .. كما تمثله كتب ابن فارس وابن جني والثعالبي [مصادر طور التأسيس] لا يصح إدراجها تحت "فقه اللغة" كما يفهمه أصحابه من الغربيين" وهو ما يعني أن ما قررناه بشأن الانطلاق من تحكيم الرؤية الغربية من جانب اللسانيين العرب المعاصرين كان صحيحا .

ومن ثم فإن الجدل الذي دار واستمر حول إحياء مصطلحي "فقه اللغة" و"فقه اللغة المقارن" ربما مثل خطوة أولية على نوع الإهدار المعاصر للاحتكام إلى الخلفيات الفكرية والفلسفية والدينية التي كانت وراء تأسس دراسات اللسان العربي في تراث العرب المسلمين.

وهذا الإهدار هو بعض المسئول عن ظهور فوضى التسميات لهذا العلم في المجال العربي بصورة ظاهرة إلى اليوم، وإن اختلف الوضع عما كان عليه في القرن العشرين بطبيعة الحال.

على أن ما يعنينا هنا هو الوقوف على الوعي العربي المعاصر بحضور "الأطر الفكرية" في خلفية إنتاج فقه اللغة عند العرب ، يقول د. تمام حسان ــ رحمه الله ــ : "إن منهج اللغويين (التراثيين) شكلته *أطر فكرية* عامة"

٢/ استراتيجيات تعيين الخلفيات الفكرية / الفلسفية المنتجة لمصادر فقه اللغة التراثية عند العرب في التقاليد العربية المعاصرة

يكشف تحليل الأدبيات اللسانية في التقاليد العربية المعاصرة التي تحاورت مع قضايا "فقه اللغة" ولاسيما في طوره التأسيسي عن عدد من "الاستراتيجيات" الواضحة التي استدعاها اللسانيون العرب المعاصرون من أجل تعيين الخلفيات الفكرية أو الفلسفية التي حكمت إنتاج المعرفة اللسانية التراثية العربية كما تمثلت في مصادر "فقه اللغة"

وفيما يلي رصد لأهم هذه الاستراتيجيات المتبعة في تعيين الخلفيات أو المرجعيات الفكرية الحاكمة في تراث فقه اللغة عند العرب ولاسيما في طوره التأسيسي وهذه الاستراتيجيات إجمالا هي:

١/٢- استراتيجية استثمار ما جاء في تاريخ هذا العلم من خلال كتب طبقات اللغويين العرب القدامى وتراجمهم، ولاسيما ما ورد فيها بشأن البيئات التي عاشوا فيها.

٢/٢- استراتيجية تحليل الآراء التراثية في عدد من القضايا اللسانية.

٣/٢- استراتيجية تحليل قطاع من "المصطلحات" والتوجه بها نحو القراءة الأيديولوجية واستثمارها في تعيين الخلفيات الفكرية للسانيين التراثيين.

٤/٢- استراتيجية تحكيم" المتواتر/ القطعي" من حقائق الدين في القضايا اللسانية.

٥/٢-استراتيجية تحكيم المصادر المؤسسة لقضايا اللغة في أدبيات فقه اللغة التراثية.

وفيما يلي محاولة للتدليل من طريق التمثيل على هذه الاستراتيجية بأبعادها وعناصرها المتنوعة:

(١/٢) **استراتيجية توظيف تاريخ العلم وتراجم العلماء**:

اعتمد الدكتور عبده الراجحي ١٣٥٦هـ-١٤٣٢هـ/١٩٣٧م-٢٠١٠م في سياق تحليله للخلفيات الأيديولوجية التي حكمت إنتاج كتاب الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس على استراتيجية استثمار المعلومات التي أوردتها كتب طبقات اللغويين وتراجمهم، يقول (ص ٤٣):

"ومما يلفت النظر أن ابن فارس عاش معظم حياته في فارس، وأنه كان أميل إلى التشيع"!

والظاهر من هذا النقل اعتماد الدكتور عبده الراجحي على المعلومة التي تقرر أن حياة ابن فارس في فارس / إيران هي الحامل على نسبته إلى التشيع، أو إلى الميل إليه.

ولكن مراجعة تاريخ فارس يكشف عن أنها ظلت دولة سنية المعتقد شافعية المذهب الفقهي، وهو ما يعني أن حياة ابن فارس المتوفي سنة ٣٩٥هـ الموافق ١٠٠٤م كانت في ظلال الدولة الفارسية السنية الاعتقاد الشافعية المذهب الفقهي وهو أمر كان قبل التحول الشيعي لفارس بنحو خمسة قرون كاملة.

وهو ما يعني أن الاتكاء على هذه الاستراتيجية يحتاج إلى قدر كبير من التدقيق والمراجعة، وعدم القبول بنتائجه.

[انظر: الصفوية الإيرانية.. ولادة جديدة للإمبراوطورية الفارسية لأندروج نيومان، نسخة إليكترونية ٢٠١٣م (ص١١٨)=.

Safavid Iran: Rebirth of the passion Empire, by Andrew J. Newman, Bloomsburg Academic, 2008

ويعد كتاب [روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، للميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساي ت ١٣١٣هـ=١٨٩٥م ، طهران ، ١٣٩٠هجري شمسي] أحد أهم كتب الطبقات والتراجم التي ترجمت لعلماء اللغة التراثيين في فارس بوصفهم من علماء الشيعة ولكن استيعاب مصادر ترجمة ابن فارس والثعالبي يكشف عن وجود ترجمة لهما في كثير جدا من المصادر السنية.

٢/٢ استراتيجيات توظيف قطاع من المصطلحات والتوجه بها نحو استنباط الخلفيات الأيديولوجية المنتجة لأدبيات فقه اللغة التراثية في طورها التأسيسي:

مثّل اللجوء إلى بعض المفاهيم الأيديولوجية استراتيجيةً ثابتة في اشتغال اللسانيين العرب المعاصرين بالكشف عن الخلفيات الفلسفية والفكرية الكامنة وراء ظهور أدبيات فقه اللغة التراثية عند العرب، وهو ما يمكن التدليل عليه في

تحليل الدكتور عبد الراجحي – مثلا – للخلفية الفكرية الحاكمة لمنجز ابن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) ؛ يقول (ص٤٣) :

لقد " كان (ابن فارس) من أنصار المدرسة الكوفية في اللغة ، ...(و) كان أستاذه أبو بكر أحمد بن الحسين الخطيب راوية ثعلب *إمام* **مدرسة ... الكوفة في آخر حياته ، وقد ذكر ابن فارس شيخه ثعلبا في أكثر من موضع في كتابه . وهذه المسألة ضرورية في فهم المنهج الذي سار عليه صاحبنا في كتابه؛ ذلك أن المتشيع يرى في** *الإمام مصدرا للمعرفة* **جديرا بأن ينظر إلى اللغة نظرة خاصة"**

والحقيقة أن ذلك التحليل يتسم بقدر من المبالغة؛ ذلك أن مصطلح" الإمام" في كتب التراجم لا يعني سوى الشيخ أو الأستاذ، ينضاف إلى ذلك الملحوظات المنهجية التالية:

أولا: سنية ثعلب، وعدم تشيعه.

ثانيا: غلبة الأخذ عن " *الإمام* **" بوصفه مصدرا من مصادر المعرفة عندما يكون شيعيا موثقا في المنهجية الشيعية ، وهو الأمر الذي جعل للشيعة مصادرهم الخاصة بهم، ورجالاتهم المتعيين في المجالات المعرفية المختلفة.**

ثالثا: تحليل مصادر كتاب الصاحبي يكشف عن عدم وجود مصادر شيعية، وانتشار المصادر غير الشيعية من أمثال:

ابن جني (١٢٧؛ ١٣١؛ ١٣٢) وابن دريد(٣٦؛١٠٤؛٤٤٨) ابن السكيت (٣٩؛ ٢١٩؛٣٦٧) أبو حاتم السجستاني (٢٣٣؛ ٢٩٢؛ ٤٤٨) أبو سعيد السيرافي (١٢٥؛ ١٨٤) أبو عمرو بن العلاء (١٥؛٤١؛٤٢٥) وسيبويه(٢٠؛٨٩؛٢٥٦)

[انظر: كشاف الأعلام من كتاب الصاحبي ص ٤٤٨-٦٠٥]

٣/٢ استراتيجية الاعتماد على تحليل الآراء في القضايا اللغوية في أدبيات فقه اللغة التراثية:

لجأ عدد من اللسانيين العرب المعاصرين إلى استراتيجية تعتمد تحليل الآراء الواردة في أدبيات فقه اللغة التراثية في طورها التأسيسي؛ من أجل بيان الخلفية الفكرية والفلسفية التي تقف خلف القول بهذا الرأي أو ذاك.

وهذا اللجوء إلى هذه الاستراتيجية يهدف إلى تفسير هذه الآراء، وتقريبها للدارس أو القارئ المعاصر.

يقول الدكتور عبد الراجحي(ص٥٢٩) في حق الإطار الفكري والفلسفي الحاكم لإنتاج الآراء اللسانية في الخصائص لابن جني (ت ٣٩٢هـ):

"ونحب أن نلفت أيضا إلى أن ابن جني كان *"معتزليا"* ويظهر اعتزاله في أكثر من موضع من كتابه *" الخصائص"* ... فالمذهب المعتزلي بمنهجه العقلي سوف يؤثر على نظرة ابن جني إلى الظواهر اللغوية على ما ... يظهر لنا من تحليل المادة اللغوية عنده.

وهو ما سبق أن أشار إليه الدكتور محمد إبراهيم عبادة في بحثه : (مع ابن جني) أن ابن جني ليس متشيعا (ص ٧٢) ، وأن اتجاهه الكلامي "اعتزالي" وإن لم ينتصر لآراء المعتزلة على طول الطريق أو في كل القضايا (انظر ص ٧٤)

ويعتمد على رأي ابن جني في أن "علل الفقه أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجوه الحكمة فيها خفية عنا" [الخصائص ٤٦/١] فيقول (ص٧٤):

"وهذا هو منهج أهل السنة؛ لأن المعتزلة يرون علل الفقه مؤثرة في الأحكام الشرعية باعثة عليها"

لقد صار لدينا ثلاثة آراء في الخلفيات الفكرية الحاكمة في منجز ابن جني اللساني هي:

أولا: صدروه عن فكر اعتزالي (عبده الراجحي ورمضان عبد التوب)[انظر عبده الراجحي (ص ٥٢) والمدخل إلى علم اللغـة ومنـاهج البحـث اللغـوي ، للدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٥م (ص١١١)]

ثانيـا: صدروه عن اجتهاد خاص، يوافق المعتزلة حينا، وأهل السنة حينـا (محمد إبراهيم عبادة.

[انظر : رحلة الدكتور محمد إبراهيم عبادة مع ابن جني ، د. محمد محمود القاضي ، دار الأدب العربي ، القـاهرة ، ط١ سـنة ١٤٤١هـــ=٢٠٢٠م] (ص ٧٢-٨١)

ثالثا: صدوره عن توجه عقلي يرعى التأويل (محمد عمارة)

يقول د. محمد عمارة [المنهاج العقلي في دراسات العربيـة ، د. محمـد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، سلسلة في التنـوير الإسـلامي (١٤) ، القاهرة ، ١٩٩٨م] (ص٣٠) إن آثار المنهج العقلي والطابع الفلسفي عند ابـن جني " حكمت آراءه في الظواهر اللسانية.

والحقيقة أن تسمية د. محمد عمارة للتوجه الأيديولوجي الحاكم لمنجز ابن جني اللساني في كتابه الخصائص تسمية عامة، وهو في داخل كتاب لا يسمي هذا التوجه إلا بالتوجه المعتزلي، يقول مثلا : (ص٤٥):

وبديهي أن ابن جني كان إلى جانب التراث الفكري الـذي أمـام المعتزلـة قواعده"

والحقيقة أن تحليل توجيه ابن جني لقـول الله ــ تعـالى ــ: ﴿وعلـم آدم الأسماء كلها﴾ [سورة البقرة ٣١/٢] بإقدار الله ــ تعالى ــ آدم علـى اكتسـاب اللغة هو محض تأويل يستثمر المعرفة اللغوية في باب أبنية الأفعـال العربيـة؛

بمعنى أنه نوع من استثمار التفسير اللغوي، أو التفسير بالرأي (المحمود) من زاوية استثمار المعرفة اللغوية.

٤/٢ استراتيجية توظيف (المتواتر / القطعي) من الحقائق المستقرة في قضايا اللسانيات:

إن حقيقة تأسيس "فقه اللغة " في تراث العرب على رعاية أمر خدمة الكتاب العزيز مسألة ثابتة مستقرة، وهي مسألة كانت وراء تبني اللسانيين العرب التراثيين لكثير من الآراء اللغوية، مع أن عدد الآراء في هذه القضايا يبدو غير متسق مع المنهجية العامة التي انتهجوها في البحث اللساني.

ومن ذلك النظر إلى قيمة "لغة قريش" مع الاعتراف بحضرية هذه البقعة المكانية، واتصالها باللغات الأعجمية والعناصر البشرية الأعجمية، وهو الأمر الذي يناقض الوجاهة الممنوحة للبيئات البدوية البعيدة عن الاحتكاك بلغات الأعاجم، وهو أمر يفسره نزول القرآن الكريم في مجمله ممثلا "للغة قريش"؛ يقول الدكتور صبحي الصالح (ص١١١):

"إن كان الأقدمون قد اقتصروا في شواهدهم على عرب البادية، فلماذا رجحوا لغة قريش، وما هي من البداوة في شيء ؟ إنها على العكس لغة الحضارة بين العرب قاطبة!

نحسب أننا لا يسعنا للإجابة عن هذه الشبهة- أن ننكر حضرية قريش، ولا أن نجحد تأثرها بفارس والروم أعني الحضارة في تلك الحقبة من التاريخ. ونحسب أنه ليس من البحث الموضوعي في شيء أن نرى في استصفاء لغة قريش أن القرآن نزل بها... ولقد صادف القرآن هذه اللغة الراقية المهذبة، فزاد في ترقيتها وتهذيبها فهذا معني نزوله بلغة قريش"

إن استقرار الوضع الاقتصادي والديني والسياسي لقريش؛ بسبب من رعاية البيت الحرام أهل لغتها للانتشار والاستعمال والاستقرار حتى إذا جاء زمان نزول

الكتاب اختارها لسانا له؛ لأنها صارت لسانا مثاليا للعرب جميعا بصورة واضحة [وانظر : فصول في فقه العربية ، ص ٧٦ وما بعدها]

وفي هذا السياق يظهر انتصار ابن فارس في الصاحبي لدلالات ظاهر النصوص النقلية في توجيه الآراء اللغوية في العديد من القضايا، وهو ما نراه تطبيقا جيدا للمرجعيات (السلفية) بالمعنى التراثي؛ ففي رأيه في تفسير نشأة اللغة الإنسانية ينتصر ابن فارس في الصاحبي (ص٦) للقول بأن" لغة العرب توقيف" ودليل ذلك قوله ــ جل ثناؤه ــ :﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [سورة البقرة ٢/٣١] وينقل عن مفسري الصحابة والتابعين (من أهل السنة) ما يرجح رأيه هذا ويدعمه، فينقل عن ابن عباس ومجاهد.

وينتقل من توظيف الدليل النقلي، المتثمل في الآية الكريمة إلى توظيف دليل " الإجماع" ومرجعه إلى السماع والنقل كذلك ، يقول (ص٧):

"والدليل على صحة ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم"

ولقد وصل به تقدير ظاهر النصوص إلى القول بأن الخط العربي توقيف يقول (ص١٠) : " والذي تقول فيه : إن الخط توقيف، وذلك لظاهر قوله ــ عز وجل ــ :﴿اقرأ وربك الأكرم الذي *علم بالقلم*﴾ [سورة القلم/١]

ثم يدعم ذلك بمرويات تاريخية من طريق أهل السنة كابن عباس وكعب الأحبار.

وإذا انتقلنا إلى رأي القائلين بالمواضعة والاصطلاح من فقهاء اللغة التراثيين في الطور التأسيسي كابن جني في الخصائص فإننا نرى انحيازهم لهذا الرأي ظهر على خلفية " التيار العقلي العام" الذي تأسس هنا على تأويل الآيات باستثمار المعرفة اللغوية. وليس على خلفية تطبيقات الاعتزال بوصفها نظرية فلسفية مستقرة .

وعدم التنبه لفوارق ما بين التيار العقلي والتيار المعتزلي أورث قدرا كبيرا من الاضطراب والخلل في توجيه كثير من الآراء في كثير من الحقول المعرفية [انظر : مقدمة علاء عثمان لترجمته عمل جورج مقدسي: الطبقات... مؤلفات في التراجم بين الفقه وصحيح الدين في الإسلام الكلاسيكي جورج مقدسي ترجمة علاء عوض عثمان ، مركز تراث للبحوث والدراسات القاهرة ، ط١ سنة ٢٠٢٠م] (ص ص ٢٨-٣٠) ثم كلام جورج مقدسي نفسه(ص ص ٥٥-٥٦)

وهذه الاستراتيجية مهمة جدا يمكن تطويرها ليكون بعنوان استراتيجية الانطلاق من حقائق القرآن الكبرى المتعلقة باللسانيات من أجل فحص الخلفيات الفكرية المؤسسة لفقه اللغة التراثي عند العرب.

٥/٢ استراتيجية الاعتماد على تحليل خطاب المصادر التي تأسست عليها مصنفات فقه اللغة التراثية في طوره التأسيسي:

تمثل استراتيجية الاعتماد على تحليل خطاب المصادر المؤسسة التي اعتمد عليها أصحاب مصنفات فقه اللغة التراثية عند العربي في طوره التأسيسي، وهم:

أ- ابن جني ٣٩٢هـ

ب- ابن فارس ٣٩٥هـ

ج- الثعالبي ٤٢٩هـ

ومن اعتمدها من رجالات فقه اللغة " السنة" ولاسيما الجلال السيوطي ٩١١هـ في المزهر = أهمية بالغة في هذا السياق الرامي إلى فحص حضور الخلفيات والمرجعيات الفكرية الحاكمة والموجهة لهذا المنجز في هذا الحقل المعرفي.

والحقيقة أن فحص الثلاث مجموعات التالية من المصادر يسهم – من وجهة نظر هذه المقالة- في الكشف عن مسلك مهم جدا لتعيين الخلفيات الفكرية والفلسفية التي حكمت هذا المنجز، والآراء اللسانية التي جاءت فيه من جانب،

وتسهم كذلك في تصحيح نتائج اللسانيين العرب المعاصرين في تعيينهم للخلفيات الفكرية والفلسفية التي حكمت هؤلاء اللسانيين العرب التراثيين عند إنتاج مصنفاتهم في فقه اللغة.

وهذه المجموعات هي:

أولا: مجموعة المصادر اللغوية المتنوعة.

ثانيا: مجموعة المصادر التفسيرية.

ثالثا: مجموعة المصادر الحديثية وكتب المرويات.

والحقيقة أن الحضور" السني" في الثلاث مجموعات جاء طاغيا بصورة لافتة للنظر بشكل بالغ الوضوح.

وفيما يلي محاولة لتحليل خطاب هذه المجموعات الثلاثة من هذا المنظور:

١.٥/٢ خطاب المصادر اللغوية المؤسسة في مصنفات فقه اللغة التراثية عند العرب في طوره التأسيسي :

اعتمد ابن فارس – تبعا– لكشاف الكتب الواردة في نص الصاحبي على المصادر التالية:

الجوابات، والحجر، وخضارة ومقالة كلاله، والعين المنسوب للخليل، وفصيح الكلام، لثعلب، والمقتضب للمبرد[انظر الصاحبي؛ ص٦١١]

ينضاف لهذه المصادر حضور آراء الأعلام التالية من اللغويين العرب القدامى، ابن الأنباري، وابن دريد، وابن السكيت، وأبو حاتم السجستاني، والأخفش، وأبو عمرو بن العلاء، والفراء، والأصمعي، وغيرهم.

وكل هؤلاء لغويون"سنيون" بالمعنى الاصطلاحي الأيديولوجي لهذا المصطلح وبعضهم أقرب لاحترام "ظاهر النصوص" عند التفسير؛ من مثل: الأصمعي وأبي عمرو بن العلاء.

وهو ما يعني أن الزعم بأن ابن فارس في إنتاجه للصاحبي في فقه اللغة كان " متشعيا " رأي غير صحيح أو على الأقل يحتاج إلى قدر كبير من المراجعة في ظل هذه المعطيات.

ومثل ذلك واضح في فقه اللغة للثعالبي [انظر: مصادر كتاب فقه اللغة وسر العربية من بحث للدكتور خالد فهمي، ضمن : الكتاب التذكاري للدكتور رمضان عبد التواب ــ رحمه الله تعالى ــ عنوانه : نصوص ودراسات لغوية، القاهرة ٢٠٠١م] (ص ٢٣٧-٢٤٧)

وتحليل خطاب مصادر الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية يكشف عن حضور "سني" ظاهر للمصادر اللغوية التراثية المؤسسة ذات الأبعاد السنية.

كما أن تحليل خطاب مصادر ابن جني في الخصائص يكشف عن الحضور نفسه للمصادر اللغوية والسنية، مع نوع عناية بالاستراتيجية العقلية التأويلية، لا الاعتزالية، كما سبق بيانه في مطلب سابق.

[انظر : الفهارس المفصلة لخصائص ابن جني ، صنعه: د. عبد الفتاح السيد سليم ومعهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٧م] (ص ٤٠٩-٤١٠)؛ وهي صفحات كشاف المصادر معتمدة في بناء الخصائص، و(ص ١٣-١٥)

وهي صفحات كشاف ثنائه على علماء العربية من مثل : الخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء والكسائي، والأصمعي، وثعلب، وقطرب، وهم كما نرى علماء لغة من " السنة"

٢.٥/٢. خطاب المصادر التفسيرية والقرآنية المؤسسة في مصنفات فقه اللغة التراثية عند العرب في طوره التأسيسي:

يعد الكتاب العزيز شاهدا من أعظم بينات الاستشهاد في النظرية اللسانية العربية التراثية من جانب، وأعظم سبب أنتج اللسانيات العربية التراثية من جانب آخر.

ومن ثم فإن فحص خطاب الأقوال التفسيرية المعتمدة في بناء القضايا اللغوية في مصنفات فقه اللغة التراثية في طوره التأسيسي سبيلا ممتازة للكشف عن الخلفيات الفكرية التي أنتجتها ووجهتها من جانب، وسبيلا ممتازة لتصحيح آراء اللسانيين العرب المعاصرين الذي انشغلوا في بعض ما عالجوا ببيان الخلفيات الفكرية والفلسفية الحاكمة في ظهور أدبيات فقه اللغة التراثية عند العرب، بغية الإعانة على تفسير آراء أصحابها في تناول الظواهر اللسانية العربية، وبغية العناية بشروط المنهجية / والأكاديمية في دراسة " فقه اللغة" في التراث العربي.

ويكشف فحص المصادر التفسيرية والقرآنية في هذه المصادر المؤسسة عن ظهور العلامات التالية:

أولا: طغيان الرواية عن أعلام المفسرين "السنة" بدءا بأجيال الصحابة والتابعين وانتهاء بمن بعدهم ومن ذلك اعتماد ابن فارس على الأقوال التفسيرية لأبي بكر (ص ٥٣) وعمر بن الخطاب (ص٥٣) وابن مسعود (٣٥٥) ومجاهد بن جبر (ص٦) وقتادة (ص١٠٨)

ومن ذلك اعتماد فقه اللغة للثعالبي على الأقوال التفسيرية لابن عباس (١/١١٢؛ ٢٨٧؛ ٣٣٩) وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ص /٤٤) وأبي عبيد القاسم بن سلام (١/١٤؛ ٣/٥٤٥) وابن قتيبة (١/٣٤؛ ٢/٤٧٧) وأبي هريرة ة (١/٨٠ ؛ ٣٢٧)

ومثل ذلك في الخصائص؛ فقد روى عن أمثال : الحسن البصري (٢/٤٦٨) وعمر بن الخطاب (١/٣٦٩)

وأظن أن في هذا القدر كفاية لتأكيد الرأي الذي يقرر أن اللسانيين العرب التراثيين الأوائل المؤسسين انطلقوا في تأسيس " فقه اللغة" في التراث العربي من

خلفية "سنية " تقدم الأخذ بظاهر النصوص بصورة واضحة، وعندما تـركن إلـى ترجيح ما يخالف ظاهر النصوص فإنها تفعل ذلك عن توظيف لاستراتيجية التأويل الذي يستثمر الانطلاق من توظيف الأيديولوجية الاعتزالية أو المنهجية اليونانيـة أو غيرها من الأفكار الوافدة.

٣.٥/٢. خطـاب مصـادر المرويـات والآثـار في مصـنفات فقـه اللغـة التراثيـة في الطـور التأسيسي:

من المستقر أن للشيعة- على وجه التعيين- مشيخة خاصة موازية معتمدة في الرواية عنها.

ومراجعة ثلاثة المصادر التراثية المؤسسة في مجال فقه اللغة عند العـرب تكشف عن حضور المرويات من الطريق مؤسسة الرواية المعتمـدة لـدى أهـل السنة من أمثال : أنس بن مالك (الصاحبي ٧٣) وجابر بن عبد الله (الصـاحبي ٢٠٥)، وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (الصاحبي ١٩٨) وغيرهم .

ومثل ذلك حاصل في الخصائص لابن جني ، وفقه اللغة للثعالبي.

٢/٥.٤. خطاب أثر مصادر فقه اللغة التراثية عند العرب في الخالفين:

لقد استثمرت مصنفات "فقه اللغة" في الأطـوار التاليـة لطـور التأسـيس المصنفات الثلاثة المؤسسة، وفحص هذا الاعتماد والاستثمار يكشف عن حضور طاغ وكثافة استشهاد مرتفعة من جانب مصادر فقه اللغة" السنية"، ولاسيما كتاب المزهر للسيوطي ٩١١هـ الذي استوعب بصورة واضحة كل كتـاب الصـاحبي، وفقه اللغة للثعالبي تقريبا، فضلا عن نصـوص كثيـرة جـدا مـن الخصـائص لابن جني.

إن مجموع النظر في نتائج تطبيق هذه الاستراتيجيات تكشف عن تأسـيس علماء فقه اللغة في التراث العربي كما ظهر من مصـنفاتهم الثلاثـة المؤسسـة عما يلي:

أولا: نشأة فقه اللغة في التراث العربي جاءت استجابة ذاتية خالصة للمطالب الدينية والحضارية التي فرضها النظر في الكتاب العزيز بصورة بالغة الوضوح.

ولا أثر– في الطور التأسيسي لفقه اللغة عند العرب – لأي خلفيات وافدة من خارج الدائرة الإسلامية.

وهذا الحكم صادق على ما يلي:

أ- منهجية المعالجة للظواهر اللسانية.

ب- أنساق التأليف في مصادر فقه اللغة.

ج- المنوال الاستدلالي على الآراء اللغوية.

د- الغاية المنشودة المتمثلة في خدمة لغة الكتاب العزيز.

هـ- اعتماد آيات الكتاب العزيز في القمة من مصادر الاحتجاج.

و- التقدير البالغ لظاهر النظر في النصوص القرآنية بدرجة أولى، ثم الانتقال للتأويل المعتمد على خلفية استثمار المعرفة اللغوية من الطريق العقلي.

ثانيا: ظهور التوجهات والخلفيات الفكرية" للسنة" وعدم ظهور آي آثار لتطبيقات الخلفيات الفكرية والفلسفية التالية:

أ- الخلفية الاعتزالية.

ب- الخلفية الشيعية.

ج- الخلفية اليونانية أو السريانية أو الفارسية أو البابلية.

ثالثا: من الواضح أن اللسانيين المعاصرين من أمثال الدكتور عبده الراجحي والدكتور رمضان عبد التواب وغيرهما استدعوا تاريخ الفرق والمذاهب الكلامية، وهو نوع خضوع لقانون التسييس" أو الإيمان بأثر السياسة في توجيه نشأة فقه اللغة في تراث العرب وهو نوع أثر لحركة الاستشراق بصورة ما

تسربت إلى أعمال الكثيرين من المشتغلين بدراسة فقه اللغة التراثي في التقاليد العربية المعاصرة.

وفي هذا القول يقول د. إبراهيم عمر السكران[التأويل الحداثي للتراث ... التقنيات والاستمدادات ، إبراهيم بن عمر السكران، دار الحضارة للنشر والتوزيع ط١ سنة ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م](ص١٨٩):

" لا تسلم علوم اللغة العربية من افتراض الخطط السياسية (تسييس الموضوعي)" وهو ما يظهر من حديث د. الجابري في [بنية النقل العقل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط(٥) ١٩٩٦م] عن نشأة البلاغة العربية (هي من علوم اللسان في التصور المعرفي التراثي حتى ابن خلدون)وتأتي بعض بحوثها في فقه اللغة وتقع في الصميم من مشاغله التراثية فيقول:

إن "الاهتمام بوضع شروط لإنتاج الخطاب البلاغي المبين لم يبدأ إلا مع ظهور الأحزاب السياسية والفرق الكلامية"!

٣/ الخلفيات الفكرية والفلسفية المؤسسة للدرس اللغوي التراثي عند العرب في تحليل المعاصرين : **موجز خطاب الاتجاهات والأنواع** :

لقد بدا توجه العقل اللساني الغربي في تأريخه للسانيات الغربية في العصر الحديث بدءا من القرن التاسع عشر، واستمرارا في القرن العشرين إلى تعيين الخلفيات الفكرية والفلسفية التي كانت وراء ظهور المدارس اللسانية واضحا جدا في الكثير من أدبيات تاريخ هذا العلم في الغرب.

وقد استقر النظر على ما يلي:

أولا: هيمنة النموذج التفسيري البيولوجي ثم النموذج التفسيري الفيزيائي على قطاع من الدرس اللساني في القرن التاسع عشر.

ثانيا: الانتقال إلى النموذج التفسيري "الاجتماعي" مع تأسيس اللسانيات السوسيرية التي تأسست على رعاية قانون" الحقيقة الاجتماعية" بتأثير مباشر من إميل دوركايم.

ثالثا: ظهور التمايز بين المدارس اللسانية بعد دوسوسير ١٩١٣م الحاكمة، فاتجه بومفيلد إلى السلوكية والمنحي المادي لتفسير الظاهرة اللغوية، ثم كان لتأثير تطور"الميكانيكا" والعقول الإليكترونية أثره في ظهور الدرس البنيوي ولاسيما عند زيليج هاريس، ثم ظهور الاتكاء على الكليات الإنسانية والعموميات في عمل تشومسكي في تفسير الظاهرة اللغوية [انظر المدارس اللسانية، لجيفري سامبسون، ص ٣٢ وما بعدها]

والواضح أن كل هذه التطورات مرجعها في الأساس إلى الانتقال من نموذج تفسيري إلى نموذج تفسيري آخر، والنموذج التفسيري في حقيقته هو الانطلاق من خلفية فكرية أو إيديولوجية بالأساس تحكم رؤية الإنسان للعالم وتعينه على إدراك ظواهر الوجود بما فيها ظاهرة اللغة ومن ثم القدرة على تفسيرها.

وقد اتجه اللسانيون المعاصرون- في التقليدين الاستشراقي والعربي – إلى فحص الخلفيات الفكرية المؤسسة للدرس اللغوي عند العرب قديما في فقه اللغة والنحو بصورة أكثر وضوحا وانتشارا.

وهو ما أسفر عما يلي:

أولا: ظهور اتجاهين متمايزين في التقاليد الاستشراقية تتأرجح بين اتجاهين أحدهما- القول بنسبة نشأة الدراسات اللغوية في التراث العربي إلى تأثيرات غربية أو يونانية بالأساس، وأشهر من يمثل هذا الاتجاه اللساني الهولندي : كنيس فريستيج في عمله المؤسس:

[عناصر يونانية في الفكر اللغوي العربي، كيس فريستيج، ترجمة: د. محمود كناكر، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط(٢) سنة ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م]

آخرهما – القول بنسبة نشأة الدراسات اللغوية ولاسيما النحوية في التراث العربي إلى تأثيرات معرفية داخلية / أو ذاتية؛ فقهية أو أصولية، أو كلامية، وفي مقدمة القائلين بذلك : مايكل كارتر:

[انظر : المستشرقون والتراث النحوي العربي، للدكتور عبد المنعم السيد أحمد جدامي، دار كنوز المعرفة، الأردن ، ط(١) ١٤١٧هـ = ٢٠١٦م] (ص ١٧ وما بعدها)

ولقد تابع كثير من الدارسين العرب المعاصرين الرأي الأول بدءا من الدكتور إبراهيم بيومي مدكور سنة ١٩٥٣م في مقالته[منطق أرسطو والنحو العربي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ع ٧ سنة ١٩٥٣م ، ثم في اللغة والأدب، القاهرة ١٩٧١م] (ص٤٥) مرورا بالدكتور علي أبو المكارم في (تقويم الفكر النحوي، ص ٦٨) وصولا إلى الدكتور محيي الدين محسب في [الثقافة المنطقية في النحو العربي د. محيي الدين محسب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط(١) ١٤٢٨هـ=٢٠١٧م] (ص٩) ، وقد كان ذلك من الدكتور محيي الدين محسب في ١٩٨٢م، ثم تراجع عن ذلك فيما بعد وتعيينا سنة ٢٠٠١م.

والحقيقة أنه يمكننا– تبعا للدكتور إدريس مقبول– أن نعين أربعة أنواع متفرعة عن اتجاهين عند تلخيص القول في الخلفيات الفكرية المؤسسة للدرس اللغوي والنحوي في الطور التأسيسي عند العرب ،وهي:

أولا: اتجاه ينسب التأسيس إلى خلفيات فكرية أجنبية، يسميها الدكتور إدريس مقبول بالإبستمولوجيا المفصولة، ويتفرع منها:

أ- نوع تأثير للفلسفة اليونانية.

ب- نوع تأثير للمنطق اليوناني.

ج- نوع تأثير للفلكية البابلية.

ثانيا: اتجاه ينسب التأسيس إلى خلفيات ذاتية داخلية عربية يقسمها الدكتور إدريس مقبول قسمين هما:

١- الإبستمولوجيا الموصولة، ويتفرع عنها:

أ-القول بتأثير الفقه وأصوله.

ب-القول بتأثير الحديث.

٢- الإبستمولوجيا المأصولة، ويحصرها في القول بتأثير علم الكلام، وينتصر لها في تفسير تأسيس النحو عند سيبويه.[انظر : سيبويه معتزليا...حفريات في ميتافيزيقا النحو العربي، إدريس مقبول ، المركز العربي للإبحاث دراسات السياسات، الدوحة، بيروت، ط(١) ٢٠١٥م] (ص ص ١٣-٥٤)

والحقيقة بناء على ما سبق فإن من الواضح أن تأسيس فقه اللغة في التراث العربي مرجعه إلى : الاستجابة الذاتية الدينية الحضارية التي استلزمها النظر في الكتاب العزيز، وأنتج خدمته اللسانية.

وهذه الاستجابة الذاتية تجلت فيما يلي:

أولا: الاستجابة الذاتية للغايات الدينية والحضارية والعلمية المرتبطة بخدمة الكتاب العزيز ، والإعانة على تحقيق مقاصده في الأمة.

ثانيا: الاستجابة الذاتية هي المفسرة للخلفيات الفكرية المنحصرة في الاستجابة للعقيدة الإسلامية والقائمة على المقصد الكلي الجامع المتمثل في رعاية التوحيد، أي أن الخلفية المؤسسة كانت اعتقادية بامتياز.

ثالثا: رعاية ظاهر النصوص القرآنية في المقام الأول، وجاء الانتقال إلى رعاية التأويل باستثمار المعرفة اللغوية كان على أساس عقلي يعتمد على العقلانية الإنسانية الذي يستصحب الفكرة" السنية" بالأساس، مما يعني حصر الحضور المذهبي في أهل السنة بامتياز عند النظر في الخلفيات المؤسسة لفقه اللغة عند العرب.

رابعا: عدم ظهور تأثير إيديولوجي (اعتزالي/ أو شيعي) يمكن أن يمثل خلفية منتجة لفقه اللغة في التراث العربي في طوره التأسيسي على الأقل.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى فحص "وعي التلقي العربي المعاصر بالأصول الفكرية (والفلسفية) المنتجة لمصادر فقه اللغة التراثية عند العرب في الطور التأسيسي"

وانتهجت منهجية نقدية بالأساس، وقد اشتبكت الدراسة مع المطالب التالية سعيا للإفادة بغاياتها، وهي:

١- مدخل: الوعي المعاصر بالأصول الفكرية المنتجة للسانيات في الفكر اللساني المعاصر.

٢- مصطلح فقه اللغة في التقاليد العربية المعاصرة : جدل الإحياء وعلاقته بالخلفيات الفكرية.

٣- استراتيجيات تعيين الخلفيات الفكرية المنتجة لمصادر فقه اللغة التراثية عند العرب في التقاليد المعاصرة.

٤- الخلفيات الفكرية المؤسسة للدرس اللغوي التراثي في التقاليد المعاصرة.

وقد أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

أولا: جاءت الاعترافات اللسانية الغربية الحديثة والمعاصرة داعمة للقول بوجود خلفيات فكرية إيديولوجية حكمت تأسيس الدرس اللساني في الغرب.

ثانيا: جاء انحياز علماء اللغة العرب المعاصرين لإحياء مصطلح فقه اللغة في بدء الاشتغال المعاصر بالدراسة اللغوية للعربية على خلفية التأثر بالوافد الغربي بالأساس حاول معه بعض الدارسين النزوع إلى نوع من التأصيل للمصطلح.

ثالثا: على الرغم من تنوع استراتيجيات تعيين الخلفيات المؤسسة لفقه اللغة التراثي عند العرب- فقد جاءت سريعة، وغير متأنية، ومضطربة.

رابعا: ظهر من فحص عدد من الاستراتيجيات أن ظهور فقه اللغة عند العرب في الطور التأسيسي جاء على الاستجابة للخلفيات الفكرية :" الاعتقادية والمذهبية" المنتمية لاعتقاد "أهل السنة" وهو الأمر الذي تجلي من تحكيم ما يلي:

١- تراجم العلماء المؤسسين.

٢- تحليل الآراء اللغوية في المصادر المؤسسة.

٣- تحليل خطاب المصادر المعتمدة في بناء مصنفات فقه اللغة التراثية في طوره التأسيسي.

٤- تحليل مدونة المرويات "الأثرية" من طريق الرواة السنة بالأساس.

المراجع

١. أئمة النحاة في التاريخ ، د. محمد محمود غالي ، دار الشروق، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط(١) سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

٢. الاستقبال العربي لعلم اللغة، د. مقبل بن علي الدعدي، مركز تكوين للدراسات والأبحاث ، الخبر، السعودية ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م.

٣. الأصول .. دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو. فقه اللغة البلاغة، للدكتور تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

٤. بنية النقل العقل ، د. الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط(٥) ١٩٩٦م.

٥. التأويل الحداثي للتراث ...التقنيات والاستمدادات، إبراهيم بن عمر السكران، دار الحضارة للنشر والتوزيع ط١ سنة ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م.

٦. الثقافة المنطقية في النحو العربي د. محيي الدين محسب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط(١) ١٤٢٨هـ=٢٠١٧م.

٧. حرب اللغات والسياسات اللغوية، لويس جان كالفي، ترجمة: د. حسن حمزة ، ومراجعة د. سلام بزي- حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت٢٠٠٨م.

٨. دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠م.

٩. رحلة الدكتور محمد إبراهيم عبادة مع ابن جني، د. محمد محمود القاضي دار الأدب العربي ، القاهرة ، ط١ سنة ١٤٤١هـ=٢٠٢٠م.

١٠. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، للميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساي ت ١٣١٣هـ=١٨٩٥م، طهران، ١٣٩٠هجري شمسي.

١١. سيبويه معتزليا: حفريات في ميتافزيقا النحو العربي، د. إدريس مقبول، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، بيروت، ط(١) سنة ٢٠١٥م.
١٢. الصفوية الإيرانية.. ولادة جديدة للإمبراطورية الفارسية لأندروج .نيومان ، نسخة إليكترونية ٢٠١٣م.
١٣. صوت في الخلاء : كيف اكتسب الإنسان القدرة على الكلام، فيليب ليبرمان، ترجمة: د. حمزة بن قبلان المزيني، مجلة العصور مج ٦ ع٢ ،١٩٩٤م.
١٤. علم فقه اللغة العربية..أصالته ومسائله، للدكتور محمد حسن حسن جبل ، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٥. عناصر يونانية في الفكر اللغوي العربي، كيس فريستيج ، ترجمة: د. محمود كناكر، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط(٢) سنة ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م.
١٦. فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ١٩٧٣م.
١٧. فقه اللغة، للدكتور علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٤٥م.
١٨. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر ، بيروت،١٩٦٠م.
١٩. فقه اللغة العربية وخصائصها، د.إميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢م.
٢٠. فقه اللغة، للدكتور عبد الحسين المبارك، جامعة البصرة، العراق، ١٩٨٦م.
٢١. فقه اللغة ، للدكتور حاتم صالح الضامن، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢٢. فقه اللغة المقارن ، للدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت،١٩٦٨م.
٢٣. فقه اللغة المقارن ، للدكتور رمزي البعلبكي، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٤. فقه لغات العربية المقارن، للدكتور خالد إسماعيل، إربد، الأردن، ٢٠٠٠م.
٢٥. الفهارس المفصلة لخصائص ابن جني، صنعه: د. عبد الفتاح السيد سليم ومعهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٧م.
٢٦. فقه اللغة في الكتب العربية، للدكتور عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
٢٧. لغات الفردوس... آريون وساميون: ثنائية العناية الإلهية، موريس أولندر ترجمة: د. جورج سليمان، مراجعة: سميرة ريشا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٧م.
٢٨. مدارس اللسانيات .. التسابق والتطور، ترجمة: د. محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود للنشر،٢٠١٧م.
٢٩. المدارس اللغوية، التطور والصراع ، جيفري سامبسون، ترجمة: د. أحمد الكراعين ، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٩٣م.
٣٠. مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.
٣١. مقدمة علاء عثمان لترجمته عمل جورج مقدسي: الطبقات... مؤلفات في التراجم بين الفقه وصحيح الدين في الإسلام الكلاسيكي جورج مقدسي، ترجمة: علاء عوض عثمان ، مركز تراث للبحوث والدراسات القاهرة ، ط١ سنة ٢٠٢٠م.
٣٢. المستشرقون والتراث النحوي العربي ، للدكتور عبد المنعم السيد أحمد جدامي، دار كنوز المعرفة ، الأردن ، ط(١) ١٤١٧هـ = ٢٠١٦م.
٣٣. مصادر كتاب فقه اللغة وسر العربية من بعده للدكتور خالد فهمي ، ضمن : الكتاب التذكاري للدكتور رمضان عبد التواب ـ رحمه الله تعالى ـ عنوانه: نصوص ودراسات لغوية، القاهرة ٢٠٠١م.

٣٤. المعجم المفصل في فقه اللغة، للدكتور مشتاق عبـــاس معـــن ، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٣٥. منطق أرسطو والنحو العربي، الدكتور إبراهيم بيومي مدكور، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع ٧، سنة ١٩٥٣م ، ثم في اللغة والأدب ، القاهرة ١٩٧١م.

٣٦. المنهاج العقلي في دراسات العربية ، د. محمـــد عمـــارة ، نهضـــة مصـــر للطباعة والنشر ، سلسلة في التنوير الإسلامي (١٤) ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٣٧. الوجيز في فقه اللغة، لمحمد الأنطاكي ، حلب ، سوريا/ ١٩٦٩م.

38. Safavid Iran: Rebirth of the passion Empire, by Andrew J. Newman, Bloomsburg Academic, 2008